مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 14 / العـدد:02 (نوفمبر 2026) ص 706– 722
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

مقاربة بالمنهج النقدي الاجتماعي لقصيدة (اعترافات من زمن الصحراء) من ديوان–(من تراتيل الجنوب) للشاعر بن سالم رمضان

A Social Critical Approach to the Poem -Confessions from the Time of the Desert- by Ben Salem Ramadan from His Collection (From the Chants of the South)

الدكتور: أسامة لنصاري [1]، ط.د: مولاي أحمد داوداوة [2]

Dr: OUSAMA LENSARI [1], PHD STUDENT: MOULAY AHMED DAOUDAOUA [2]

1 مخبر الممارسات اللغوية والأدبية بمنطقة الصحراء الجزائرية وامتداداتها في منطقة الساحل الإفريقي –جامعة أمين العقال الحاج موسى أق أخموك– تامنغست (الجزائر)

lensari.ousama@univ-tam.dz

2 مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست – جامعة أمين العقال الحاج موسى أق أخموك – تامنغست (الجزائر)،

moulayahmed.daoudaoua@univ-tam.dz

تاريخ الاستلام: 2026/02/15	تاريخ القبول: 2026/06/17	تاريخ النشر: 2026/11/25

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة قصيدة "اعترافات من زمن الصحراء" للشاعر بن سالم رمضان من منظور النقد الاجتماعي، من خلال تحليل الرموز الثقافية الطارقية مثل "تينهنان"، "الإمزاد"، و"الشاي" بوصفها معادلات موضوعية تجسّد ملامح الهوية الجماعية والبيئة الصحراوية لشعب إيموهاغ (الطوارق). وتستعرض الدراسة الإطارَ النظري للنقد الاجتماعي، مبادئه، وتجلّياته في النقد العربي والغربي، قديمًا وحديثًا. وتقوم القراءة التحليلية على تتبّع الدلالات الرمزية والحمولات الاجتماعية والعاطفية والروحية في النص، بهدف الإجابة عن الإشكالية الآتية: كيف وظّف الشاعر الرموز الثقافية الطارقية لبناء معادل موضوعي يربط الفرد بهويته الجماعية؟ وما مدى نجاعة النقد الاجتماعي في الكشف عن البنى الرمزية والثقافية في هذه القصيدة؟

الكلمات المفتاحية: النقد الاجتماعي، الرمزية الثقافية، هوية (إيموهاغ) الطوارق، البيئة الصحراوية، بن سالم رمضان.

Abstract

This study aims to approach the poem "Confessions from the Time of the Desert" by the poet Ben Salem Ramadan from the perspective of social criticism, through the analysis of Tuareg cultural symbols — such as "Tin Hinan," "Imzad," and "tea" — as objective correlatives that embody the features of collective identity and the desert environment of the Imuhagh (Tuareg) people. The study further presents the theoretical framework of social criticism, its principles, and its manifestations in both Arab and Western critical traditions, classical and contemporary alike. The analytical reading traces the symbolic connotations and the social, emotional, and spiritual dimensions embedded in the text, with the aim of addressing the following research questions: How did the poet employ Tuareg cultural symbols to construct an objective correlative linking the individual to his collective identity? And to what extent is social criticism effective in uncovering the symbolic and cultural structures within this poem?.

Keywords: Social criticism, cultural symbolism, Tuareg (Imohag) identity, desert environment, Ben Salem Ramadan.

1.مقدمة:

يُعدّ الأدب مرآة تعكس تحولات المجتمع، وتجسّد رؤى الفرد في علاقته بالبيئة والواقع الجمعي. ومن هذا المنظور، برز المنهج النقدي الاجتماعي بوصفه مقاربة تحليلية تتيح قراءة النصوص الأدبية من خلال سياقاتها الاجتماعية والثقافية والتاريخية. وفي ظل تنامي الاهتمام بالهوية الثقافية والهامش الجغرافي، تبرز الحاجة إلى تحليل الأدب الصحراوي المحلي، بما يحمله من رموز راسخة ودلالات عميقة ترتبط بمجتمع الطوارق. ومن هذا المنطلق، تطرح هذه الدراسة إشكالية رئيسة مفادها: **كيف وظّف الشاعر بن سالم رمضان الرموز الثقافية الصحراوية والطارقية في قصيدته "اعترافات من زمن الصحراء" لبناء معادل موضوعي يكشف عن العلاقة بين الفرد وبيئته الجمعية؟**

وتنطلق الفرضية الأساس من أن الشاعر عمد إلى توظيف عناصر الهوية الصحراوية بشكل رمزي يعكس تجربة جماعية ووعيًا اجتماعيًا مشتركًا. وتهدف الدراسة إلى تحليل هذه الرموز والحمولات الثقافية في **ضوء المنهج النقدي الاجتماعي، بالاعتماد على أدوات هذا المنهج**، في قراءة النص من منظور يعاين التفاعل بين البنية الشعرية والمرجعية الواقعية.

2. مفاهيم نظرية حول منهج النقد الاجتماعي:

يُعدّ المنهج النقدي الاجتماعي من المناهج التي تُعنى أساسًا بالسياق الخارجي للنص، وقد نال اهتمامًا واسعًا في الحقلين النقدي والأدبي. ويرى كثير من الباحثين أن ظهوره ارتبط بصعود الفلسفات الواقعية في العصور الحديثة. ويؤكد الدكتور صلاح فضل أن هذا المنهج تفرّع عن المنهج التاريخي، مستمدًا منه منطلقاته الأولى، ولا سيما في الدراسات التي تربط بين التحليل التاريخي وتطوّر المجتمعات.

1.2 المفهوم:

يمثّل المنهج النقدي الاجتماعي مقاربة تحليلية تسعى إلى دراسة الأدب في ضوء المجتمع والظواهر الاجتماعية المحيطة بالأديب، انطلاقًا من أن الأدب يرتبط في جوهره بالواقع الاجتماعي، وهو ما يؤكده الدكتور عثمان موافي في طرحه حين قال: "وإنما الإبداع الأدبي يأتي من تفاعل الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه، وتحكمه عوامل كثيرة، منها عوامل اقتصادية وعوامل أيديولوجية في مرحلة من التطور التاريخي، محددة تحديدا دقيقا، وطبقا لهذا المفهوم للإبداع الأدبي، فإن العمل الأدبي، لا يعد انعكاسا للمجتمع وحسب، بل معبرا عن أهدافه، ومثيرا

لمشاعر القراء. و بهذا المعنى يسهم العمل الأدبي في تطوير المجتمع، ويعد رؤية جماعية لا فردية". (موافي، 2005، صفحة 83)

يُرجَّح، وفقًا لما يراه بسام قطوس، أن الاهتمام الفعلي بالمنهج النقدي الاجتماعي قد بدأ مع صدور كتاب "**مدام دي ستايل**" الموسوم بـ **الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية** سنة 1800م، حيث طرحت فيه المبدأ القائل بأن الأدب يُعدّ تعبيرًا عن المجتمع. (قطوس، 2006، صفحة 63)

ويتحدث **بسام قطوس** عن انطلاقة فكرة المنهج الاجتماعي في كتابه المدخل إلى مناهج النقد المعاصر بقوله: "تنطلق فكرة المنهج الاجتماعي أو النقد الاجتماعي **sociocrlique La** كما يحلو ل(**بيير باربيريس/ Pierre.Barberis**) أن يسميه، من النظرية التي ترى أن الأدب ظاهرة اجتماعية، وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه، وإنما ينتجه لمجتمعه منذ اللحظة التي يفكر فيها بالكتابة وإلى أن يمارسها وينتهي منها". (قطوس، 2006، صفحة 65)

يُعبر هذا التعريف عن المنظور الأساسي الذي يقوم عليه المنهج النقدي الاجتماعي، والذي يُعرف أيضًا، كما يسميه بيير باربيريس، بـ النقد الاجتماعي (La sociocritique). تنطلق هذه الفكرة من أن الأدب ليس نتاجًا فرديًا معزولًا، بل هو ظاهرة اجتماعية مرتبطة بالسياق الذي ينشأ فيه، وبالمجتمع الذي يخاطبه. فالأديب، بحسب هذا التصور، لا يكتب لأجل ذاته فحسب، وإنما ينخرط في إنتاج خطاب أدبي يحمل هموم الجماعة، ويعكس تحولات المجتمع، منذ اللحظة التي تتشكل فيها الفكرة في ذهنه إلى لحظة إتمام النص. بذلك يصبح العمل الأدبي مرآةً للواقع الاجتماعي، سواء عبر محاكاته أو عبر مساءلته ونقده.

لا يقتصر النقد الاجتماعي على تعليمنا كيفية قراءة النصوص، بل يساعدنا أيضًا على فهم حياتنا وعلاقتنا بالعالم الخارجي. إذ تتيح القراءة النقدية الاجتماعية للقارئ أن يتموضع داخل النص من خلال إبراز أبعاده الاجتماعية الواضحة، وهي في الوقت ذاته قراءة لوظيفة الكتابة والفن، كما تنفتح على البُعد التاريخي والاجتماعي، بما يشمله من مسارات التحوّل والتقدم، والتغيرات الإيجابية، فضلًا عن الأزمات والمآزق والصراعات وغيرها من الظواهر المتصلة بالتاريخانية الاجتماعية. (قطوس، 2006، الصفحات 70-69)

يتبيّن من الطرح السابق أن النقد الاجتماعي يولي اهتمامًا بدراسة الحالة الاجتماعية للمؤلف، إلى جانب تتبّعه للمشكلات الاجتماعية التي يعبّر عنها في كتاباته، بوصفها انعكاسًا لواقعه الفردي ضمن السياق المجتمعي الأوسع؛ و"هكذا يستطيع النقد المتصل بعلم الاجتماع أن يعيننا في أن نزيد من إدراكنا الأدبي مثلما يعيننا على تفسير النشأة والأصول". (ديتش، 2007، الصفحات 572-573)

نظرًا لكون الأدب ظاهرة اجتماعية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع، فإنه لا محالة يمنح للكاتب مكانة داخل مجتمعه، باعتباره معبّرًا عن مشكلاته وتحولاته الاجتماعية؛ وهو ما يؤكده إنريك أندرسون إمبيرت في قوله: "يدرس المنهج الاجتماعي تأثير الجماعة في القيمة الجمالية، بل ويعلي من قيمة كاتب ما لأن علمه شفَّ جيدا عن عروق المجتمع". (إمبرت، 1991، صفحة 118)

وأطلقت مجموعة من المسميات على المنهج الاجتماعي فلقد "أطلق عليه النقد الواقعي أو الاجتماعي، أو الماركسي، وأحيانا اليساري، وجميعها تشير إلى النقد الذي ينظر إلى الأدب على أنه نتاج طبيعي للسياق الواقعي والفكري ويتعامل معه من منطلقات ومفاهيم استمدها –غالبا– من الفكر الماركسي". (عبابنة، 2004، صفحة 86)

انطلاقًا من المفاهيم والإحالات السابقة، يتبيّن أن المنهج الاجتماعي يُعد من المناهج النقدية السياقية التي ترتكز على الفلسفة الاجتماعية في مقاربتها للأدب، إذ يُعنى هذا المنهج بدراسة العمل الأدبي من خلال الظواهر الاجتماعية التي تحيط به. وبناءً عليه، فإن تفسير النص الأدبي يتم بالرجوع إلى حالة المجتمع الذي نشأ فيه، على اعتبار أن الأدب في جوهره تعبير عن الواقع الاجتماعي. ومن هذا المنظور، تتضح العلاقة التفاعلية بين الأدب، والأديب، والمجتمع؛ إذ يرى أنصار هذا الاتجاه أن الأديب يستلهم تجربته من واقعه الاجتماعي، ويعكس من خلال كتابته رؤيته وموقفه من الحياة والمجتمع.

2.2 المنهج الاجتماعي عند الغرب:

- **ملامح المنهج الاجتماعي في النقد الغربي القديم:**

إن الاتجاه الأدبي نحو المجتمع وتعبيره عنه يمتد إلى عصور قديمة جدًا، وتاريخ آداب الأمم يعد شاهدًا على ذلك. ومن بين أقدم النماذج الأدبية التي عرفتها الشعوب القديمة نجد بعض الأعمال مثل الإلياذة والأوديسة، حيث أثبتت بعض الدراسات أن هذه الأعمال لا تعود إلى هومير بمفرده، بل هي جزء من تراث شعبي شارك في تأليفه العديد من الشعراء الذين سبقوا هومير. وبناءً على ذلك، يعتبر البعض أن هذه الأعمال تمثل إنتاجًا جماعيًا من صنع المجتمع. (موافي، 2005، صفحة 76)

- **المنهج الاجتماعي في النقد الغربي الحديث:**

ومن أوائل المفكرين الغربيين الذين تبنوا هذا الاتجاه "**سان سيمون 1760م–1825م**، وجماعته، الذين دعوا إلى تنظيم المجتمع والقضاء على الأثرة والفردية وتفاني الفرد في خدمة مجتمعه والتضحية بكل غال ونفيس،

في سبيل إسعاد أبناء مجتمعه.؛ وتحقيقا لهذه الأهداف النبيلة، دعوا كذلك إلى توجيه الأدب نحو خدمة المجتمع". (موافي، 2005، صفحة 75)

يُشير بسام قطوس إلى أن الذي منح النظرية الاجتماعية بعدها المنهجي وعمقها الفكري هو المفكر المادي كارل ماركس (1818–1883)، حيث أسهم في تطويرها إلى نظرية متكاملة ورؤية فلسفية للأدب والتطور الاجتماعي، وذلك بتعاون مهم من المفكر فريدريك إنجلز. كما ساهم في هذا الإطار عدد من الفلاسفة مثل هيجل (G.W. Hegel)، وعلماء الاجتماع مثل أوغست كومت، وإميل دوركهايم، وجون ستيوارت ميل، بالإضافة إلى المفكرين بليخانوف، ولوكاتش، ولوسيان جولدمان. (قطوس، 2006، صفحة 63)

3.1. المنهج الاجتماعي عند العرب:

عرف النقد العربي القديم العديد من الكتابات التي أشارت إلى توجيه الأدب نحو بعد اجتماعي، حيث كانت هناك إشارات مبكرة تدل على الاهتمام بعلاقة الأدب بالواقع الاجتماعي. كما أن النقد العربي في العصر الحديث لم يكن بعيدًا عن هذا الاتجاه، فقد شهد تطورًا ملحوظًا في الدراسات التي اهتمت بالنقد الاجتماعي. في حديثنا القادم، سنتناول أبرز إرهاصات الدراسة الاجتماعية في الأدب والنقد العربي القديم، بالإضافة إلى تسليط الضوء على المحطات الرئيسية التي شهدت اهتمامًا متزايدًا بالمنهج الاجتماعي في النقد العربي الحديث.

- **ملامح المنهج الاجتماعي عند النقاد العرب القدامى:**

كانت ملامح التوجه الاجتماعي واضحة في الأدب العربي منذ العصور القديمة، حيث كان الشعر يشكل وسيلة للتعبير عن المجتمع، وعاداته، وتقاليده، فضلاً عن قيمه الأخلاقية والاجتماعية. وقد تناول العديد من الأدباء العرب وأعلام النثر في العصور الوسطى قضايا المجتمع ومشكلاته في كتاباتهم. وهو ما يؤكد عليه عثمان موافي في حديثه عن المنهج الاجتماعي في كتابه مناهج النقد الأدبي، حيث يقول: "وقد عبر الشعراء في شعرهم عن الشكل الجديد الذي يبدو عليه هذا المجتمع..، كما عبر كتاب النثر عن هذا المجتمع الجديد ومشكلاته وقضاياه، ويبدو هذا بوضوح في كتابات أعلام النثر العربي في أزهى عصوره الأدبية، والعصر العباسي بنوع خاص.؛ ومن أبرز هؤلاء الأعلام: **الجاحظ، والهمذاني، والتوحيدي**، الذين عبروا في كتاباتهم النثرية المتنوعة بين الرسائل، والنوادر، والمقامات، عن كثير من القضايا السياسية والاجتماعية في عصرهم". (موافي، 2005، صفحة 78)

في الرؤية الاجتماعية، لم يقتصر اهتمام الشعراء والكتّاب العرب القدامى على مجرد الحديث عن المجتمع وتصوير الواقع فحسب، "بل تجاوز بعضهم ذلك إلى نقد هذا المجتمع، والكشف عن كثير من السلبيات التي تتمثل

في بعض الوزراء ورجالات الدولة والطبقة الحاكمة، وقد عبر بعضهم عن ذلك شعرا". (موافي، 2005، صفحة 78)

يبدو من خلال ما تم ذكره أن المفهوم الاجتماعي للأدب، الذي يُعبر عنه بعبارة "الأدب تعبير عن المجتمع"، كان موجودًا منذ العصور القديمة، حيث حظي باهتمام محدود في مختلف مجالات الآداب القديمة، قبل أن يتم الإعلان عنه والتنظير له في العصور الحديثة. ومن بين هذه الآداب، يأتي الأدب العربي. (موافي، 2005، صفحة 80)

- **المنهج الاجتماعي في النقد العربي الحديث:**

كان للمنهج الاجتماعي تأثير كبير في كتابات بعض رواد النهضة الأدبية الحديثة في العالم العربي، ومن أبرز هؤلاء "طه حسين"، الذي تناول في مؤلفاته دراسة بعض أعلام الشعر العربي مثل المتنبي والمعري، مسلطًا الضوء على المجتمعات التي نشئوا فيها. وقد شملت دراسته لهذه المجتمعات العديد من الجوانب مثل العادات والتقاليد، والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فضلاً عن التفاوت الطبقي والثورات الشعبية التي كانت تهدف إلى تصحيح الأوضاع الاقتصادية وتحقيق العدالة الاجتماعية. ومن أبرز أعماله الأدبية التي تناولت مختلف القضايا الاجتماعية كتابه "المعذبون في الأرض". (موافي، 2005، الصفحات 89–90)

كان "توفيق الحكيم" – الذي يُعتبر من أبرز رواد الحركة الأدبية الحديثة في مصر – من أبرز النقاد الاجتماعيين، حيث قدّم رصيدًا مميزًا من الدراسات النقدية الاجتماعية. وفي كتابه "يوميات نائب في الأرياف"، الذي سجّل فيه الأحداث اليومية التي عاشها أثناء عمله وكيلاً للنائب العام في الريف المصري، برزت رؤيته النقدية الاجتماعية؛ فقد تناول من خلال هذا الكتاب العديد من القضايا الاجتماعية، مستعرضًا نماذج متعددة من المشكلات التي كانت تعصف بالمجتمع المصري في تلك الفترة. (موافي، 2005، الصفحات 93–94–95)

من أبرز الدراسات النقدية الاجتماعية التطبيقية في العصر الحديث، نجد دراسة "التونسي الطاهر لبيب"، رئيس جمعية علماء الاجتماع العرب، الذي درس رسالته للدكتوراه في أوروبا تحت إشراف جولدمان. وقد تناول في دراسته ظاهرة غزل العذري في العصر الأموي، وهي ظاهرة مثيرة للاهتمام، حيث درسها من منظور تعبيرها عن رؤية العالم لفئة اجتماعية معينة، وهم الشعراء العذريون. سعى في هذه الدراسة إلى إقامة علاقة بين ظاهرة الشعر العذري وطبيعة الأبنية الاجتماعية والاقتصادية لهؤلاء الشعراء، مع تقييم مدى نجاحهم في تقديم رؤية للعالم تعكس واقعهم الاجتماعي. من جهة أخرى، نجد دراسة أخرى للشاعر والناقد المغربي "محمد بنيس"، الذي حاول ربط

الإبداع الشعري العربي المعاصر بالظواهر السوسيولوجية في المغرب العربي بشكل خاص. ويؤكد الدكتور صلاح فضل أن هاتين الدراستين تمثلان محاولتين جادّتين لالتقاط العلاقة الدقيقة بين الأعمال الإبداعية والتيار الاجتماعي، ومدى قدرتها على تشكيل رؤية للعالم. (فضل، 2002، الصفحات 60-61)

من بين الأسماء البارزة التي أشار إليها الدكتور بسام قطوس في حديثه عن المنهج الاجتماعي، نجد "محمود أمين العالم" و"عبد العظيم أنيس"، اللذين أصدرا كتابًا مشتركًا بعنوان "في الثقافة المصرية" عام 1955، والذي كان له دور ريادي في النقد الواقعي الماركسي في العالم العربي؛ كما تناول الدكتور قطوس في حديثه ناقدًا يساريًا آخر في لبنان، وهو "حسين مروّة"، الذي كتب مقدمة لكتاب "في الثقافة المصرية" وأصدر أيضًا كتابًا بعنوان "دراسات في ضوء المنهج الواقعي". بالإضافة إلى هؤلاء، يذكر الدكتور قطوس عددًا من الأسماء التي اهتمت بالمنهج الاجتماعي في النقد العربي الحديث، ومنهم: "عصام حفني ناصف"، و"سلامة موسى"، و"عمر فاخوري"، و"يحيى العبد"، و"غالي شكري"، و"عبد المحسن طه بدر"، و"فريدة النقاش"، و"عبد الرحمن ياغي"، وغيرهم. (قطوس، 2006، الصفحات 68-69)

4.2 مبادئ المنهج الاجتماعي: (موافي، 2005، الصفحات 88-89)

ويعتمد هذا المنهج في دراسته للنصوص الأدبية على مجموعة من المبادئ والأسس منها:

1-الاهتمام بالمضمون الاجتماعي للعمل الأدبي مهما كان نوعه أو جنسه.

2-إغفال الشكل الفني للعمل الأدبي.

3-التعامل مع النص الأدبي كوثيقة اجتماعية أو تاريخية.

4-نقد وتحليل مضامين النصوص الأدبية، والكشف عن دلالاتها الاجتماعية.

5-البحث عن الأصول الاجتماعية للأديب، والطبقة التي ينتمي إليها، وعلاقاته الاجتماعية بأفراد الطبقة، والتجربة التي يعبر عنها، وتأثيره في القراء.

6-التعبير عن عادات وتقاليد وقضايا المجتمع الذي يعيش فيه الكاتب، والتعبير عن نظمه الاجتماعية..

ومما سبق ذكره حول المنهج الاجتماعي ومفهومه وتجلياته في النقدين العربي والغربي، نخلص إلى كونه أحد المناهج الثلاثة في النقد السياقي، وهو من الاتجاهات الخارجية لدراسة الأدب، ويعدُّ منهجا يعمد إلى ربط الأدب بالمجتمع باعتبار أن الأدب مرآة تعكس المجتمع بكل مظاهره السياسية والاجتماعية والثقافية، وتعود هذه الدعوة القائلة بتوجيه الأدب وجهة اجتماعية بصفة ممنهجة إلى أواخر ق18 وبداية القرن 19م؛ وبوصف أوضح لما سبق التطرق إليه أعلاه نتوصل إلى أن المنهج النقدي الاجتماعي هو منهج يهتم بدراسة الأدب في سياقه

الاجتماعي، حيث يُعتبر الأدب تعبيرًا عن المجتمع الذي ينشأ فيه، ويعكس تطوراته وتحولاته. يركز هذا المنهج على ربط النصوص الأدبية بالواقع الاجتماعي من خلال دراسة مشكلات المجتمع، مثل التفاوت الطبقي، والعادات، والنظم الاقتصادية والسياسية. يعنى النقد الاجتماعي بتفسير الأدب كظاهرة اجتماعية، ويعزز فهم العلاقة بين الأديب ومجتمعه، حيث يُنظر إلى الكتابة الأدبية ليس فقط كنتاج فردي، بل كأداة تعبّر عن هموم المجتمع. هذا المنهج يمتد جذوره إلى الفلسفات الواقعية والمادية، ويعتبر العمل الأدبي مرآة اجتماعية، تتشكل معالمها من خلال تفاعل الأديب مع محيطه الاجتماعي؛ في هذا السياق، يتناول الدكتور بسام قطوس وأخرون العديدَ من أسماء النقاد الذين ساهموا في تطور المنهج الاجتماعي في العالم العربي، مثل طه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم.

وفي ظل هذا العرض النظري للمنهج الاجتماعي، سننتقل الآن إلى الجانب التطبيقي من الدراسة، حيث سنعرض مقاربة نقدية وفق المنهج النقدي الاجتماعي لقصيدة "اعترافات من زمن الصحراء" للشاعر ابن ولاية تامنغست–الجزائر، (بن سالم رمضان)، من ديوانه الشعري "من تراتيل الجنوب".

1. دراسة تطبيقية من منظور منهج النقد الاجتماعي:

1.1. تحليل قصيدة "اعترافات من زمن الصحراء" من الناحية الاجتماعية ودراستها كمعادل موضوعي متعلق ببيئة الطوارق:

نص القصيدة: (رمضان، 2024، صفحة 12)

كَـــمْ وَرْدَة مِنْـــكِ قَـــدْ سَـــالَتْ أَمَانِيْهَـــا ... وَ لَوْحَـــة لَسْـــتُ أَدْرِي مَـــا أُسَـــمِّيْهَا

إِنْ قُلْـــتُ جُرْحـــاَ أَبَـــانَ الجُـــرْحُ يُكْـــذِبُنِي ... إِنْ قُلْـــتُ بَحْـــراً فَهَـــا قَـــدْ بِـــتُّ أَسْـــقِيْهَا

فَنَظْـــرَة منـــك يَـــا مَـــوْلَاةِ فِـــيْ كَبِـــدِي تَـــرْوِي ... هُمُـــومِي فَكَـــأْسُ الشَّـــوقِ أَرْوِيْهَـــا

فَيَنْتَشِـــي الـــدَّمْعُ فِـــيْ عَيْنِـــيَّ مُلْتَهِبـــاً ... جَمْـــرُ التَوَجُّـــعِ فِـــيْ أَكْبَـــادِ مَاضِـــيْهَا

فَلْيَمْضَـــغِ الـــدَّهْرُ أَحْلَامِـــي لِأَتْرُكَهَـــا ... تَطْفُـــو وَتَعْلُـــو بِحُـــبٍّ بَـــاتَ يَبْنِيْهَـــا

فَالتِيْهَنَـــانُ عَلَـــى سِـــرْدَابِ ذَاكِرَتِـــي ... تَسْـــتُوقِفُ الوَقْـــتَ فَالأَيَّـــامُ تُحْيِيْهَـــا

إِذَا الثَّـــوَانِي تَفَانَـــتْ فِـــيْ مَسَـــاكِنِهَا ... لَـــيْلاً وَ صُـــبْحاً فَنَـــارُ الشَّـــمْسِ تَكْوِيْهَـــا

فَمِـــرْوَدُ الكُحْـــلِ يَـــا أُمَـــاهُ أَلْهَبَنِـــي ... فَـــالعِيْنُ تَعْـــزِفُ أَلْحَانـــاً تُغَنِّيْهَـــا

فَيَحْتَسِـــي الـــدَّهْرُ شَـــاياً مِـــنْ مُخَيِّلَتِـــي ... وَالـــنَّفْسُ تَـــرْوِي لَـــهُ عَـــنْ كُـــلِّ مَـــا فِيْهَـــا

لَا النَّـــاسُ تُـــدْرِكُ مَـــا هَمَـــي فَتَسْـــأَلُنِي ... مَـــاذَا دَهَـــاكَ مِـــنَ الـــدنْيَا تُعَادِيْهَـــا

إِذْ حَـــــدَّثَتْكَ رِوَايَـــــاتُ مُبَعْثَـــــرَةً ... فَـــالجُودُ أَوَّلُهَـــا وَالصَّـــبْرُ ثَانِيْهَـــا

إِذَا رَأَتْهَـــا الصَّـــبَا انْهَـــالَ مَـــدْمَعُهَا ... فِـــيْ رَوضَـــةٍ أَيْنَعَـــتْ عِشْـــقاً تُنَادِيْهَـــا

إِنْ كُنْـــتُ أَلْقِيْـــتُ شِـــعْراً أَوْ هَمَمْـــتُ بِـــهِ ... فَلْتَعْـــــذِرِيْنِي إِذَا بَاحَـــــتْ مَعَانِيْهَـــــا

فَالبِيْـــدُ يُـــوحِفُنِي وَالرَّمْـــلُ يَعْشَـــقُنِي ... حَتَّـــى كَسَـــتْهُ رِيَـــاحٌ بَـــاتَ يَطْوِيْهَـــا

مَـــازَالَ صَـــوتُكِ بِالإِيْحَـــاءِ يُقْلِقُهَـــا ... حَتَّـــى أُلَاقِـــيَ نفْســـاً قَـــدْ أُدَاوِيْهَـــا

كَـــمْ مِـــنْ قَصَـــائِدَ فِـــيْ أَحْشَـــائِهَا نَزَفَـــتْ ... تَشْـــكُو إِلَـــيَّ بِمَـــا فِيْهَـــا حَوَاشِـــيْهَا

دَاسِـيْنُ تَبْكِـي هَـوَى الإِمْـزَادِ فِـيْ شَـجَنٍ ... لَعَـــلَّ مُسْـــقِمُهَا فِـــي القَلْـــبِ يُضْـــنِيْهَا

فَالطِّفْـــلُ يُوقِـــدُ نَفْســـاً صِـــرْتُ أَعْرِفُهَـــا ... فِـــي الأُفْـــقِ تُبْقِيْـــكَ مَوجـــاً فِـــي مَجَارِيْهَـــا

هَـــذِي مَحَاسِـــنُهَا بِالفَضْـــلِ أُوْرِدُهَـــا ... بِالعِشْـــــقِ أَكْتُبُهَـــا حَرْفـــاً وَأُلْقِيْهَـــا

شَـــاشٌ وَشَـــالٌ هُمَـــا التَّـــارِيْخُ يَـــا وَلَـــدِي ... فَقُـــمْ عَلَـــى كَبِـــدِي وَ اهْتُـــفْ وَ نَادِيْهَـــا

أَنْـــتَ الرِّيَـــاحُ عَلَـــى جُـــدْرَانِنَا نَزَفَـــتْ ... مِنْـــكَ البُـــرُودَةُ فَالكُثْبَـــانُ تَقْوِيْهَـــا

أَنـــتِ الحَـــرَارَةُ يَـــا مِـــرْآةَ أَفْئِـــدَتِي ... فَـــالتَّمْرُ أَوَّلُهَـــا وَالقَمْـــحُ ثَانِيْهَـــا

فَـــالعُودُ يَهْتِـــفُ وَالبَـــارُودُ أُغْنِيَتِـــي ... قَـــدْ لَاحَ فَارِسُـــهَا لَحْنـــاً يُغَنِّيْهَـــا

قَـــدْ بِـــتِّ فِيْنَـــا هَـــوَى حُلْـــمٍ يُكَابِـــدُنِي ... فَالنَّـــايُ يُشْـــعِلُ أَشْـــواقاً بِمَـــا فِيْهَـــا

فَهْـــيَ الطَّـــوَارِقُ مِلْـــحُ الرَّمْـــلِ فِـــيْ زَمَنِـــي ... تُـــدْنِي جِبَـــالاً عَلَـــى أَكْتَـــافِ مَاضِـــيْهَا

مَـــا عَـــادَ يُقْلِقُهَـــا لَيْـــلٌ وَلَا شَـــفَقٌ ... فَالمَجْـــدُ فَـــيْ نَبْـــرَةِ التَّـــارِيْخِ تُحْيِيْهَـــا

بِنْـــتُ التَسَغْنَسَـــتْ إِذَا قَامَـــتْ تُغَـــازِلُنِي ... مَـــا عُـــدْتُ أَعْـــرِفُ أَيّ الشِّـــعْرِ يَكْفِيْهَـــا

فَكَـــمْ لَهَـــا مِـــنْ عُيُـــونٍ مِثْـــلَ نَاظِرُهَـــا ... يـــومَ الفِـــرَاقِ فَهَـــا عَيْنـــيَّ تَحْكِيْهَـــا

فَحَاجِـــبُ البَـــدْرِ أَحْيَانـــاً يُمَازِحُهَـــا ... فِـــيْ خَيْمَـــةٍ تَرْتَـــدِي الأَلْـــوَانَ تَحْوِيْهَـــا

بِقُرْبِهَـــا النَّعْـــلِ بِالأَلْحَـــانِ يُؤْنِسُـــهَا ... فِـــيْ لَيْلَـــةٍ خَامَـــةُ الإِمْـــزَادُ تَرْوِيْهَـــا

فَكَـــمْ تَسَـــاءَلْتُ هَـــلْ لِلْكَـــونِ أَلْسِـــنَةٌ ... حَتَّـــى تُنَـــادِيَ حَقّـــاً قَـــدْ يُـــدَاوِيْهَا

فَالبِيْـــدُ كَبَّـــلَ أَحْلَامِـــي وَأَقْنِعَتِـــي ... وَالنَّخْـــلُ أَشْـــعَلَ أَغْصَـــاناً بِمَـــا فِيْهَـــا

فَـــاليُومُ تَسْـــأَلنِي فُقَّـــارَةٌ لَـــكِ هَـــلْ جَفَّـــتْ دُمُوعُـــكَ أَمْ قَـــدْ صِـــرْتَ سَـــاقِيْهَا
عِـــزّاً وَ قَلْبـــاً يَـــرَى العُشَّـــاقَ أَزْمِنَـــةً تَجْتَرُّهَـــا الـــنَّفْسُ دَاءً فِـــيْ مَجَارِيْهَـــا
فَأَسْـــــأَلُ اللهَ رَبَّ الكَـــــونِ مَغْفِـــــرَةً مِنْـــــهُ الشَّـــفَاعَةُ فَـــالأَحْلامُ تَبْنِيْهَـــا
يَـــا نَـــاظِمَ البَيْـــتِ إِنَّ الشِّـــعْرَ قَـــافِيَتِي فَالقَلْـــبُ يَنْشُـــرُهَا وَالحَـــرْفُ يَطْوِيْهَـــا
يَـــا آخِـــرَ الجُـــرْحِ مَـــا عَـــادَتْ تُكَـــابِرُنِي هَـــذِي الـــرُّؤَى فَتَّايَـــا البَـــوحِ أُفْنِيْهَـــا
هَـــذَا أَنَـــا فِـــيْ هَـــوَى الأَشْـــعَارِ تَعْشَـــقُنِي هَـــذِي القُلُـــوبُ إِذَا أَحْرَقْـــت كَاوِيْهَـــا

تسرد القصيدة تجربة عاطفية وروحية عميقة تعكس ارتباطًا وثيقًا ببيئة الطوارق وثقافتهم، حيث تتماشى رموز الطوارق مع تجارب الشاعر وأحاسيسه؛ ومثل هذه النصوص تحمل بين طياتها دلالات اجتماعية وثقافية تمثل تفاصيل حياة الطوارق وهويتهم؛ وسنسعى هنا إلى تحليلها من خلال عدة مستويات:

أولا) المعادل الموضوعي والتأصيل الثقافي:

- **توظيف الرموز:**

تنهنان ملكة الطوارق:

استحضار "**تنهنان**" وهي اسم علم لملكة تارقية مشتق من "إهينان: أي رحيل الحي بخيامهم" يرمز إلى المجد والهوية القومية لشعب الطوارق. فهي أيقونة تاريخية تمثل السلطة والقدرة على التكيف مع قسوة البيئة، مما يضفي على النص بعدًا أسطوريًا يشير إلى القوة والكرامة. (الأنصاري، الشريف، و الأنصاري، 2019، صفحة 157)

تسغنست (ملاحف النساء): (الأنصاري، الشريف، و الأنصاري، 2019، صفحة 75)

تمثل ملاحف النساء رمزًا للخصوصية والجمال الأنثوي في ثقافة الطوارق. توظيف الشاعر لهذا العنصر يدمج بين العاطفة والشعور بالانتماء الثقافي.

مرود الكحل: باللغة التارقية "تاظولت" (الأنصاري، الشريف، و الأنصاري، 2019، صفحة 192)

يشير إلى العادات الجمالية الخاصة بالطوارق، كما يعكس هوية أنثوية مميزة ضمن مجتمع صحراوي، حيث يعد الكحل علامة من علامات الزينة والهوية؛ ويقال له "أسادْ" بالتارقية. (الأنصاري، الشريف، و الأنصاري، 2019، صفحة 64)

الشاي: هو نفسه "الآتاي باللغة التارقية" (الأنصاري، الشريف، و الأنصاري، 2019، صفحة 40)

يمثل الشاي طقسًا اجتماعيًا وثقافيًا بارزًا في حياة الطوارق. استحضاره في القصيدة يرمز إلى دفء اللقاءات والصداقة التي تتوسط حياة الصحراء القاسية.

الإمزاد (آلة العزف):

الإمزاد، بوصفها أداة موسيقية تراثية، ترمز إلى الغناء الحزين والأنغام العاطفية التي تعبّر عن الشجن العميق في حياة الطوارق. توظيفها في النص يشير إلى المزج بين الموسيقى والحزن كوسيلة للتعبير عن المشاعر. (الأنصاري، الشريف، و الأنصاري، 2019، صفحة 177)

الشاش والشال: وهو نفسه أمنجوض أو إيتل عند المجتمع التارقي:

يعدّ الشاش والشال رمزًا للهوية المادية للطوارق، حيث يمثلان جزءًا من زيهم التقليدي، ومعبرًا عن بساطة حياتهم وأناقتهم الصحراوية. (الأنصاري، الشريف، و الأنصاري، 2019، صفحة 146)

الخيمة: هي إهكيت أو أهكوم.

ترمز الخيمة إلى الدفء والاستقرار في بيئة متحركة، وتعبر عن الترابط العائلي والمجتمعي في ثقافة الطوارق الرحّل. (الأنصاري، الشريف، و الأنصاري، 2019، صفحة 154)

العود والبارود والناي:

هذه الأدوات تشكّل ثنائية بين الفن والحرب في حياة الطوارق. العود والناي يعبّران عن العاطفة والشجن، فيما يرمز البارود إلى النضال والدفاع عن الهوية. (الأنصاري، الشريف، و الأنصاري، 2019، صفحة 295)

النخل والفقارة:

يعبر النخل عن الحياة والخصوبة في الصحراء، بينما تشير الفقارة (نظام ري المياه) إلى التعاون المجتمعي والحفاظ على الموارد في بيئة قاسية.

ثانيا) تحليل رموز الطوارق في القصيدة:

أ. البعد العاطفي:

يظهر من خلال الرموز الأنثوية مثل "تسغنست" و"مرود الكحل" التقدير العميق للجمال الأنثوي كجزء من الطبيعة الثقافية للطوارق، ويمثل ذلك أيضًا احترامًا للأدوار التي تلعبها المرأة في حياتهم الاجتماعية.

ب. البعد الموسيقي:

تتكرر الإشارة إلى "الإمزاد" و"العود" و"الناي" كأدوات تجمع بين الحزن والتعبير العاطفي. هذه الأدوات تعكس كيف تُعبر الموسيقى عن ألم الفراق، وبهجة الانتماء، وحنين الزمن الماضي.

ج. البعد الاجتماعي:

رمز "الشاي" يمثل التفاعل الاجتماعي في مجتمع الطوارق، حيث يعدّ الشاي جزءًا من تقاليد الضيافة وطقسًا يوميًا يعبر عن الترابط المجتمعي.

د. البعد التاريخي والنضالي:

الإشارة إلى "تنهنان" و"البارود" تعبر عن كرامة الطوارق، وتمسكهم بأرضهم وهويتهم، حيث يظهر النضال كجزء لا يتجزأ من حياتهم.

هـ. البعد الروحي:

النخل والخيمة رمزان للاستقرار والجذور، ويعبران عن الأمان الروحي والانتماء إلى بيئة قاسية، ولكنها تشكل مصدرًا للإلهام والهوية.

ثالثا) السياق الاجتماعي والأدبي:

القصيدة تعبّر عن أزمة هوية ومعاناة نفسية متشابكة مع البيئة الاجتماعية لشعب الطوارق. استخدام الشاعر للرموز الثقافية والاجتماعية يجعل النص شهادة على الترابط العاطفي والروحي بين الفرد والمجتمع الصحراوي.

- **رسالة القصيدة:**

- الاحتفاء بالهوية الثقافية.
- الربط بين الحياة اليومية والمشاعر الإنسانية من حب، فراق، وصمود.
- التأكيد على أهمية الذاكرة الجماعية والرموز التراثية في تشكيل الوجدان الفردي والجماعي.

بشكل عام تمثل القصيدة معادلاً موضوعيًا يجمع بين تجربة فردية وأبعاد جماعية لبيئة الطوارق. تعكس الرموز توظيفًا عميقًا لتفاصيل الحياة الثقافية والاجتماعية في الصحراء، مما يمنح النص بعدًا حضاريًا وإنسانيًا شاملاً.

رابعا) دراسة توظيف الشاعر لبعض الرموز والتعليق عليه:

القصيدة تتناول بيئة الطوارق وروحهم من خلال استحضار رموز ثقافية واجتماعية متجذرة في تاريخهم. يُعبِّر الشاعر عن مزيج من الحنين والحب للأرض والطبيعة والهوية الثقافية، وفيما يلي سنسعى لتحليلها مع توضيح الرموز ودلالاتها الاجتماعية:

كم **وردةً** منكِ قد سالت أمانيها ولوحةً لست أدري ما أسميها (رمضان، 2024، صفحة 12)

"الوردة" ترمز إلى الجمال والحب في حياة الطوارق، و"اللوحة" تشير إلى الطبيعة الصحراوية التي يحيط بها الغموض، وفي دلالتهما يُبرز الشاعر ارتباط الطوارق بجمال الصحراء، مع الإحساس بالعجز عن وصف عمق هذا الارتباط.

إن قلتُ **جُرحاً** أبان الجُرح يكذبني إن قلتُ **بحراً** فها قد بِتُّ أسقيها (رمضان، 2024، صفحة 12)

نرى توظيف الشاعر للتناقض بين "الجُرح" و"البحر"؛ وهذا ما يعكس لنا تناقضات الحياة الصحراوية، من قسوتها وندرة مواردها إلى سخائها الروحي؛ ويُظهر لنا تأويلا يحمل معاناة الطوارق ومثابرتهم في مواجهة تحديات الطبيعة القاسية.

فلْيمضغِ الدهرُ **أحلامي** لأتركها تطفو وتعلو بحبٍّ بات يبنيها (رمضان، 2024، صفحة 12)

أما "الأحلام" هنا فترمز إلى الطموحات والموروثات الثقافية، وتأويلاتُها المحتملة تعبر عن التمسك بتراث إيموهاغ، رغم تحولات الزمن.

فمِرودُ الكحلِ يا أمَّاه ألهبني فالعينُ تعزف ألحاناً تُغنيها (رمضان، 2024، صفحة 12)

ورمز "مرود الكحل" هو رمز جمالي نسائي يعكس تقاليد الطوارق في الزينة؛ ويدل على احتفاء الشاعر بجمال المرأة الطارقية وأثرها في حفظ الهوية.

فيَحتسي الدهرُ **شايًا** من مخيلتي والنفسُ تروي له عن كلّ ما فيها (رمضان، 2024، صفحة 12)

و"الشاي" طقس اجتماعي يُعبّر عن الكرم والتواصل في ثقافة الطوارق؛ ويحمل دلالات متعددة فهو رمز لوحدة الجماعة والطابع التأملي في الحياة الطارقية.

داسينُ تبكي هوى **الإمزاد** في شجنٍ لعلّ مسقمها في القلب يُضنيها (رمضان، 2024، صفحة 12)

و"داسين" و"الإمزاد" رمزان نسائيان؛ داسين تمثل المرأة الطارقية ذات الحضور القوي، والإمزاد آلة موسيقية تعبر عن الأحاسيس؛ ويُظهران في توظيف الشاعر لهما تأثيرَ المرأة والفن في صقل الروح الثقافية للطوارق.

شاشٌ وشالٌ هما التاريخ يا ولدي فقمْ على كبدي واهتفْ وناديها (رمضان، 2024، صفحة 12)

و"الشاش والشال" يمثلان لباس الطوارق المميز؛ وفي تأويلهما المحتمل يُبرزان العلاقة بين الهوية الثقافية والموروثات البصرية.

أنتَ **الرياحُ** على جدراننا نزفتْ منكَ البرودةُ **فالكثبانُ** تقويها (رمضان، 2024، صفحة 12)

و"الرياح" و"الكثبان" يرمزان إلى قسوة البيئة الصحراوية؛ ويدل الشاعر من خلالهما على الصراع مع الطبيعة كجزء أساسي من الهوية الطارقية.

فالعودُ يهتفُ و**البارودُ** أغنيتي قد لاح فارسُها لحناً يُغنيها (رمضان، 2024، صفحة 12)

و"العود" رمز للفن، و"البارود" للبطولة، ودلالتهما قريبة من الإمزاد وهدفهما الذي يرمي إليه الشاعر هو أن الجمع بين الموسيقى والفروسية يُبرز التوازن بين الفن والقوة في ثقافة الطوارق.

هذا أنا في هوى **الأشعار** تعشقني هذي القلوبُ إذا أحرقتْ كاويها (رمضان، 2024، صفحة 12)

ويوظف مصطلح "الأشعار" التي تجسّد الروح الأدبية للطوارق؛ ويرمي من خلالها إلى التمسك بالتراث الشفهي والأدبي رغم التحديات.

القصيدة عموما تحتفي برموز الطوارق التي تشكّل هويتهم الثقافية، مثل "تنهنان" رمز السلطة النسائية، و"الإمزاد" رمز الفن، و"الشاي" رمز الضيافة؛ والشاعر استخدم هذه الرموز لخلق معادل موضوعي يربط الماضي بالحاضر ويعبر عن الفخر بتراث الطوارق وعمق ارتباطهم بالصحراء.

خامسا) النقد العام للقصيدة:

أ- الإيجابيات:

القصيدة غنية بالرموز التراثية (مثل: الإمزاد، الشاش، تسغنست)، وتُبرز الهوية الثقافية للطوارق بشكل فني؛ ومحاولة استخدام الصور الشعرية والتشبيهات يعكس حسًا وجدانيًا عميقًا وارتباطًا بالموروث الثقافي.

ب- العيوب الأدبية:

- ضعف الوحدة العضوية:

الأبيات تبدو متفرقة ولا يربطها خيط واضح، مما يؤدي إلى غياب التسلسل المنطقي والتصعيد الشعوري.

- غياب التركيز:

تعدد التيمات (الحب، الهوية، الفخر، الشجن) دون تركيز على موضوع رئيسي يضعف الرسالة الشعرية.

- التكرار والإطالة:

الإفراط في الشرح وتكرار المعاني يُضعف التكثيف الشعري، مثل تكرار الإشارات إلى الرمل والصحراء.

وبشكل عام فإن الشاعر يظهر في هذه القصيدة رغبةً واضحة في محاكاة أسلوب الشعر العربي القديم، سواء من خلال الوزن والقافية –حيث التزم القافية وكتب على البحر البسيط– أو عبر التراكيب التي يسعى لأن تبدو تراثية الطابع، غير أنّ هذه المحاولة تأتي في كثير من الأحيان مفتعلة ومشحونة بتكلّف بيّن، فيفقد النص سلاسته ويبتعد عن روح الشعر الكلاسيكي الأصيل.

فالشعر القديم كان يقوم على متانة السبك واتساق الصورة وقوة الانسجام الداخلي، بينما يجنح الشاعر هنا إلى تراكيب غريبة ومولّدة لا تمتّ إلى البلاغة العربية المحكمة بصلة، مثل قوله: "فَيَحْتَسِي الدَّهْرُ شَاياً مِنْ مُخَيِّلَتِي" أو "الْتِهْنَانُ عَلَى سِرْدَابِ ذَاكِرَتِي" أو "فيمضغ الدهر" وغيرها كثير؛ وهي تعبيرات أقرب إلى التجميع الاعتباطي منها إلى التصوير البلاغي المنضبط.

وتتضح مشكلة توظيف اللغة في اعتماده على تراكيب أعجمية أو دخيلة لا تنسجم مع نظام العربية، فتبدو الجمل مفكّكة من جهة دلالتها، ومكسورة من جهة بنائها؛ كما أنّ الشاعر يكثر من الألفاظ غير المألوفة أو المستخدمة في غير موضعها، مما يخلق اضطرابًا في الصنعة الشعرية، ويجعل الصورة بلا مركز دلالي؛ وهذا الاضطراب يُفقد النص توازنه البلاغي، إذ تختلط الاستعارات غير المنسجمة مع التشبيهات المتنافرة، وتتجاور الانزياحات اللغوية دون رابط عضوي، فتبدو القصيدة وكأنها مخالفة لقوانين البيان العربي القائمة على الوضوح، والتناسب، وحسن الملاءمة بين اللفظ والمعنى.

إنّ مجموع هذه المظاهر يُنتج خطابًا شعريًا متعثرًا في سبكه، متداخلاً في صوره، متكسّرًا في لغته، بحيث يشعر القارئ بأنّ الشاعر لم ينجح في التوفيق بين محاولته استحضار جماليات الشعر القديم وبين حاجته إلى بناء لغة شعرية منسجمة؛ فغلب على قصيدته التكلف اللغوي والاضطراب البلاغي، وغابت عنها الوحدة الفنية التي تضمن للنص قوته وجاذبيته.

2. خاتمة:

بناءً على ما تم تناوله وتحليله في هذه الدراسة النقدية، يمكن استخلاص أبرز النتائج على النحو الآتي:

أولا نتائج حول الجانب النظري:

- يمتاز منهج النقد الاجتماعي ببراعة المقاربة النقدية للنصوص الأدبية التي تربط بين النص الأدبي والبيئة الاجتماعية التي نشأ فيها، معتمدة على دراسة البُنى الطبقية، والعلاقات الإنسانية، وتمثّلات السلطة والقيم، وكيفية انعكاسها في الخطاب الأدبي.
- يَنْظُرُ هذا المنهج إلى الأدب بوصفه ظاهرة اجتماعية تعبّر عن الوعي الجمعي وتحولاته، وتكشف آليات الصراع والهيمنة والاحتجاج داخل المجتمع؛ وتكمن نجاعة إجراءاته في قدرته على تفكيك الخلفيات الاجتماعية للنص، وتحليل الشخصيات والرموز والسياقات بما يبرز ارتباط التجربة الجمالية بالشروط الموضوعية لوجودها؛ غير أنّ فعاليته تتعزز حين يُستثمر بوعي دون تقليص جمالية النص أو اختزاله إلى مجرد وثيقة اجتماعية؛ فبذلك يتحقق التوازن بين قراءة البنية الفنية واستجلاء المعنى الاجتماعي الذي تتكئ عليه.

ثانيا: نتائج حول الجانب التطبيقي:

- تجلّى وعي الشاعر بالواقع الصحراوي بكل أبعاده الثقافية والاقتصادية والتاريخية، ما جعل النص الشعري مرآةً لانشغالات الإنسان الجنوبي بمآسيه الاجتماعية.
- وظّف الشاعر الرموز الطارقية الأصيلة (مثل "تينهنان"، و"الإمزاد"، و"الشاي") لتكثيف الإحساس بالانتماء، فغدت القصيدة تمثيلًا لهوية جماعية تتحدى محاولات الطمس والنسيان.
- برزت الصحراء كفضاء وجودي وجمالي واجتماعي، حيث لم تُقدَّم كخلفية طبيعية فقط، بل ككيان رمزي يعبّر عن الصمود، والحرية، والانتماء.
- شكّلت اللغة الشعرية وسيلة مزدوجة: جمالية ونقدية، إذ استعان الشاعر بالرموز والمجازات لتمرير مواقف تجاه قضايا واقعية دون الإخلال بالبنية الفنية.
- انخرط النص في مساءلة الواقع والتاريخ، ما جعل القصيدة أداة نقد اجتماعي تُعيد إنتاج الموروث لا تكراره، عبر منظور معاصر ملتزم.
- انصهرت الذات الفردية بالوجدان الجمعي، حيث تحوّلت التجربة الذاتية إلى صوت جماعي يعكس معاناة شعبٍ بأكمله، ويُؤنسن البعد المحلي.
- برز الشاعر كمثقف عضوي، يوظف الفن كوسيلة لتشريح الواقع والدعوة إلى التغيير، وهو ما يعكس التزامًا أخلاقيًا واجتماعيًا واضحًا.

- أثبت المنهج النقدي الاجتماعي فعاليته في تفكيك البنية الرمزية والدلالية للنص، إذ ساعد على ربط المستويات الجمالية بالسياقات الثقافية والاجتماعية التي تحكمها.
- كشفت القصيدة عن مركزية الأدب في حفظ الذاكرة الجماعية لإيموهاغ، حيث يقوم الشعر بدور توثيقي رمزي يوثق الشخصيات والعادات عبر ترميز فني بديع.
- قدّم المنهج مقاربة مزدوجة داخلية/خارجية، سمحت بفهم النص في بعديه الفني والاجتماعي، مما يجعله أداة ناجعة لتحليل الأدب المرتبط بالهوية والمجتمع.

3. قائمة المراجع:

1. انريك أندرسون إمبرت. (1991). مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي. القاهرة–مصر: مكتبة الآداب.
2. بسام قطوس. (2006). المدخل إلى مناهج النقد المعاصر. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
3. بن سالم رمضان. (2024). من تراتيل الجنوب–شعر–. وهران – الجزائر: أندلسيات للنشر والتوزيع.
4. ديفد ديتش. (2007). مناهج البحث الأدبي بين النظرية والتطبيق، ترجمة محمد يوسف نجم، تحقيق إحسان عباس،. بيروت: دار صادر.
5. سامي عبابنة. (2004). اتجاهات النقاد العرب في قراءة النص الشعري الحديث. إربد–الأردن: عالم الكتاب الحديث.
6. صلاح فضل. (2002). مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته. القاهرة–مصر: ميريت للنشر والمعلومات.
7. عبد الرحمن مصطفى الأنصاري، طاهر أبوبكر الشريف، و عبدالواحد محمد الأنصاري. (2019). معجم تماشق (طارقي) – عربي (المجلد 1). الرياض – السعودية: مركز البحوث والتواصل المعرفي.
8. عثمان موافي. (2005). مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية–الجزء الأول. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع.